

## المحاضرة العاشرة: مختلف الحديث ومشكله وعلاقته بنقد المتون مع بيان جهود العلماء في هذا الجانب .

مختلف الحديث وربما سماه المحدثون "مشكل الحديث" ، وهو ما تعارض ظاهره مع القواعد فأوهم معنى باطلا، أو تعارض مع نص شرعي آخر.

وهو من أهم ما يحتاج إليه العالم والفقهاء، ليفف على حقيقة المراد من الأحاديث النبوية، لا يمهر فيه إلا الإمام الثاقب النظر.

وقد اعترض بعض الباحثين والدارسين على أهل الحديث بسبب سوء فهم الأحاديث على وجهها حتى اتهموا المحدثين بحمل الكذب ورواية المتناقض ونسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم تبعهم في عصرنا المستشرقون ومقلدوهم ممن اغتر بالمادة واحتجها على عقله، وغلف بحواجزها مشاعره، وإن كان بعضهم قد يتذرع باسم التحرر في فهم الدين، أو فتح باب الاجتهاد!! وهذا الصنف من الناس يوازي في ضرورة أولئك الجهلة المتزهدين الذين سوغوا الوضع والكذب في الحديث للترغيب والترهيب، فإن كلا من الفريقين استباح لنفسه التحكم في متن الحديث، فاختلف فيه أناس بجهلهم، وجدد الآخرون صحيحه بغرورهم.

وفي الواقع أن ادعاء التعارض ليس بالعسير ما دام في النصوص ما لا بد منه من عام وخاص مستثنى منه، أو مطلق ومقيد يقيد به ... ، فهل نطبق على هؤلاء الناقدين نقدهم، ونطرح فكرهم، وقانونهم، وهلا وسعتهم جملة الأحاديث العظمى المحكمة، التي لا إشكال فيها ولا سؤال. وقد عني أئمة الحديث وجهابذة نقده بهذا الفن، فدرسوا ما وقع من الإشكال في الأحاديث الصحيحة دراسة وافية من الناحية العامة الكلية، ومن الناحية التفصيلية الجزئية.

أما من الناحية العامة الكلية:

فقد قسموا الأحاديث المستشكلة نتيجة البحث فيها إلى قسمين:

القسم الأول: أن يمكن الجمع بين الحديثين المختلفين، وإبداء وجه من التفسير للحديث المستشكل يزيل عنه الإشكال، وينفي تنافيه مع غيره، فيتعين المصير إلى ذلك التفسير، وهذا هو الأكثر الأغلب في تلك الأحاديث، ومن أمثلة ذلك: حديث عائشة رضي الله عنها

أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا أيها الناس عليكم من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإن أحب الأعمال إلى الله ما دووم عليه وإن قل" متفق عليه.

والملا: فتور يعتري النفس من كثرة شيء، وهو محال في حقه تعالى؟! . ويجب عن هذا من وجهين:

الوجه الأول: أن "حتى" إن كانت بمعنى "إلى أن" فجوابه ما قال ابن فورك في كتابه القيم مشكل الحديث: "أن يكون معناه أن الله سبحانه لا يغضب عليكم ولا يقطع ثوابه حتى تتركوا العمل وتزهدوا في سؤاله والرغبة إليه. فسمى الفعل ملأ تشبيهاً بالملل، وليس بملل على الحقيقة".

الوجه الثاني: قال القصري: "وإن جعلتها بمعنى "كي" فبكون المعنى: لا يمل الله من العطاء ... على العبد كي يمل ويظهر عجزه حين أخذ ما لا يطيق، وهذا بين في كلام العرب لا إشكال فيه".

ومن أمثلة ذلك أيضاً: حديث أبي هريرة رضي الله عنه: "أرسل ملك إلى موسى عليه السلام فلما جاءه صكه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فقال: أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت! قال: فرد الله إليه عينه وقال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة" قال أي رب ثم مه؟ " قال: "ثم الموت" قال: "فالآن، فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر". فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فلو كنت ثم لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر". متفق عليه.

انتقد بعضهم هذا الحديث فقال: لعلى عيسى ابن مريم عليه السلام قد لطم الأخرى فأعماه!.

وقد غفل الناقد عن حقيقة هامة، هي أن الملائكة مخلوقات نورانية وليست بمادية. لكن الله أعطاها قدرة على التشكل بالصور المادية ألا ترى أن جبريل عليه السلام أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصورة دحية الكلبي، ومرة في صورة أعرابي، فلما جادل الملك موسى وجاذبه لطمه موسى لطمه أذهبت العين التي هي تخييل وتمثيل، وليست عينا حقيقية للملك، ولم يضر الملك بشيء.

وقال الإمام ابن فورك "ومنهم من قال: أن معنى قوله لطم موسى عين الملك توسع في الكلام - أي مجاز-، ... يريد بذلك إلزام موسى ملك الموت الحجة حين رآه في قبض روحه ...".

القسم الثاني من مختلف الحديث: أن يتضاد الحديثان بحيث لا يمكن الجمع بينهما، وذلك على ضربين:

الضرب الأول: أن يظهر كون أحدهما ناسخا والآخر منسوخا فيعمل بالناسخ ويترك المنسوخ.

الضرب الثاني: أن لا تقوم دلالة على النسخ، فيفزع حينئذ إلى الترجيح ويعمل بالأرجح منها بكثرة عدد رواته، أو مزيد حفظ، أو مزيد ملازمة راوي أحد الحديثين لأبيه، في أوجه كثيرة من وجوه الترجيح، وهذا الضرب الثاني يدخل في الشاذ والمحفوظ، وإن تساويا ولم يمكن الجمع ولا الترجيح حكم بالاضطرار عليهما، وضعفا، وقد عني العلماء بدراسة أي سؤال موجه على أي حديث، وأجابوا عن ذلك في شروحهم الموسعة على السنة، كما أنهم أفردوا هذا اللون العلمي بالدراسة في كتب خاصة كثيرة، نذكر منها:

1- تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة عبد الله بن مسلم النيسابوري "276هـ".

2- "مشكل الآثار" للإمام أبي جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي "321هـ" وهو أوسع كتب هذا الفن وأحفلها بالفوائد.

3- "مشكل الحديث" لأبي بكر محمد بن الحسن بن فورك "406هـ".

أستاذ المادة/ أ.د. جليل محسن وناس

جامعة تكريت/ كلية العلوم الإسلامية

قسم الحديث وعلومه

العام الدراسي 2023-2024